المصـــــدر : عكاظ - ملحق خاص - مناسبات
التـــاريخ : 23-09-2006 العـــدد : 14637
الصفحـات : 20 المسلسل : 38

ملف صحفي | اليوم الوطني

من نحن بدون الوطن؟

د. أيمن محمد حبيب

يعبر تكريس مفهوم الوطن والمواطنة إلى عقولنا من خلال صور وأشكال شتى ليس محورها فقط يوم الوطن الأبرز الذي يمر هو الآخر بمرحلة جديدة في عامنا هذا بعد أن تقرر أن يكون يوم إجازة وطنية يحق للمواطن فيه أن يستلهم عبراً كثيرة، عبر مكتسبات الماضي والحاضر وتطلعات وآمال المستقبل.

وإذا كان تحولنا الوحدوي والحياتي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والتاريخي الكبير الذي أرخ له بهذا اليوم قد شهد العديد من المتغيرات الجذرية والهامة، فان كل حقبة من تلك التحولات التاريخية الهامة يكتنفها جملة من المداخلات والتفاعلات والمعطيات التي قد يكون بعضها إيجابياً وبعضها الآخر سلبيا.. ولا غضاضة من أن نتلمس بواقعية بعض آفاق تلك الإفرازات بدءاً من مرحلة التفكك والفقر والجهل والمرض التي كانت متفشية أوائل القرن الماضي ومروراً بمراحل العلاج والبناء وسد الرمق، والتي إن اصابت في جانب منها الصواب إلا أنه جانبها في مواطن أخرى أو نجم عن بعض ايجابياتها تلك إفرازات لم تحسب لها الحسابات الصحيحة أو ترسم لها السياسات الدقيقة التي تمنع حدوث مثل تلك المضاعفات، والتي لم تجد معها نفعاً المسكنات والمهدئات الوقتية.

لعلنا لا نغالي كثيراً عندما نقول انه رغم عقود البناء والنماء الثمانية منذ تاريخ وحدتنا الوطنية وخطط التنمية أننا لم نستطع استئصال بعض تلك المعضلات وغير ذلك من اختلالات التنمية التي ظهرت رغم كل تلك الجهود الحثيثة والسياسات العديدة التي بذلت من أجل الانتقال إلى واقع مغاير تتحدد ملامحه حسب طموحات واحتياجات إنسان هذا الوطن وحسب إمكاناتنا ومواردنا التي تراوحت بين صعود وهبوط عبر حقب التاريخ المختلفة حيث شهدت بلادنا خلالها فترة طفرة هامة أثمرت العديد من المنجزات، إلا أن وتيرتها بطأت في بعض الأحيان نتيجة المتغيرات الاقتصادية والأحداث الإستراتيجية التي ألمت بمنطقتنا، الأمر الذي انعكس سلباً على استمرارية تحقق وتواصل تلك المنجزات وفي ذات الوقت تنامي مشكلات المواطن.

ولئن كنا نعايش الآن مرحلة طفرة ثانية ربما تكون الأهم فلا بد لنا من الاستفادة من أخطاء الماضي وسلبياته التي أدت إلى تفاقم عمليات الإصلاح والترميم والتصحيح رغم حداثة عمر التنمية في بلادنا ، وربما حدث هذا بفعل الاستهلاكية السريعة التي صاحبت تحقق تلك المنجزات، أو عدم مراعاة كل متطلبات الجودة والإتقان التي تضمن لمنجزاتنا امتدادات زمنية أطول عمرا وأكثر سلامة، أو ربما لأسباب أخرى لا تخفى على معظمنا.

ولهذا وجدنا أنفسنا منشغلين بعمليات الترميم والإصلاح والعلاج بدلاً من الانكباب على استكمال مشوار البناء والنماء، الأمر الذي عطل ما سيتم إنجازه.. بل وسيؤخر الاستفادة من تدفقات الموارد التي لم نكن نتوقع حدوثها بهذا الكم والكيفية.

وإذا كان القطار لم يفت حتى الآن (كما يقولون).. فإن القطار أيضاً لن يتوقف ولن ينتظر طويلاً من لا يريدون الصعود واللحاق بركاب التنمية، أو من لا يحاولون اللهاث لتعويض ما فات، وهذا ما يجعل من فرصة الطفرة الراهنة فرصة ذهبية ثمينة قد لا تتكرر مستقبلا، بل ويضعها في مرتبة حرجة حساسة بالغة الاهمية تستدعي استنفار كل الطاقات والجهود والخبرات والقدرات والامكانات وتذليل المعوقات التي قد تعرقل أو تعيق تحقيق أقصى استفادة ممكنة من معطيات مرحلة الطفرة أو الوفرة الراهنة، وهو ما ينبغي تداركه بشكل جذري وأساسي قبل فوات الأوان.. ولعل ذلك لن يتحقق إلا باستشعار كل فئات المجتمع جسامة حجم مرحلة الكد والبناء التي نحن مقبلون عليها.

المصـــــدر : عكاظ - ملحق خاص - مناسبات
التـــاريخ : 23-09-2006 العـــدد : 14637
الصفحـات : 20 المسلسل : 38

آما ونحن نشهد اليوم حركة عمل دؤوبة في الطرق والمطارات والموانئ والمدن الكبيرة والصغيرة والمدن المستحدثة بما في ذلك المدن الجامعية والطبية والصناعية والاقتصادية وغيرها.. الكثير الكثير فلاعذر لأحد من التواني والتكاسل والتأخر والتعطيل والتسويف وغير ذلك من كل تلك المفردات التي لا تليق وحجم طموح الإنسان السعودي وحجم قدراته لكونه الثروة الحقيقية التي استهدفت من قبل كل برامج التنمية والتطوير السابقة واللاحقة وهذا ما هو نحن بصدده الآن كما قال ذلك خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله عندما أطلق مقولته الشهيرة الشفافة وتساءل بموضوعية من نحن بدون المواطن؟

وهو هنا يضع المواطن في أعلى مراتب الأهمية والاهتمام أمام المجلس التنفيذي - مجلس الوزراء - الذي يدير شؤون الدولة ويتصرف بقضاياها وهمومها واهتماماتها وكأنه بذلك يشدد التأكيد على دور المواطن باعتباره الثروة الحقيقية للوطن وعلى ضرورة تبني كل اهتمامات المواطن واحتياجاته إلى جانب حتمية تطوير دور الموارد البشرية وتحقيق أقصى درجات التفاعل بين المواطن وبرامج التنمية.

وإذا كان هذا هو استشراف القيادة للمواطن فلابد للمواطن أن يستشعر دوره ومسؤوليته الجسيمة في دفع الحراك المرتقب وعدم تعطيله بقضايا غير جوهرية رغم فداحة تأثيراتها السلبية مثل الارهاب والاخلال بأسس ومرتكزات التنمية أو الانشغال بتصنيفات تجزيئية عقيمة تقطع الوطن الى مذهبيات سقيمة وتقسمه الى عنصريات مقيتة تعوق فكرة الاندماج الوطني والتفاعل الشعبي العام مع توجهات الدولة واستلهام رؤى المستقبل الواعد بعزائم متوثبة مبدعة خلاقة تضيف إلى الفكر والوعي الإنساني والوطني ولا تحط من شأنه أو قيمته.. فهل نحن أيضا قادرون على أن نضع الوطن ومصالحه في قمة أولوياتنا وأن نقول بنفس شفافية وموضوعية عبدالله بن عبدالعزيز من نحن بدون الوطن؟

ينبغي أن يترجم الرد على هذا التساؤل عبر دلالات عملية وانجازات رائدة مبتكرة تكرس فهمنا الرائع لقيمة الانتماء ولإحساسنا الصادق بأهمية الوطن ودورنا المفصلي في إرساء انطلاقة جديدة نحو تطلعات المستقبل وآماله فما أروع أن تكون ذكرى عرس الوطن أو عيد الوطن موسماً يتلألأ بالفرح والانتصار ويسمو على كل تلك السلبيات وغيرها.. وما أروع أن نجعل من هذا اليوم التاريخي موعداً يتجدد للاحتفال بمزيد من الانطلاقات والانجازات.. وما أروع أن يكون يومنا الوطني سانحة لمراجعة الذات وتقويم ما فات للحاق بركب الحضارة والتقدم والتطور والانجازات، وأن نقفز من علياء مكتسبات الوطن إلى فضاءات أكبر وأكثر اتساعا، فالمدى الذي نحلم به لا يحده إلا تعسر الموارد، وقد أفاء الله علينا في هذا العهد المبارك بخير وفير، نأمل أن يسخر كله أو معظمه لتلبية الاحتياجات الملحة والضرورية والهامة.

وان حالت السنون العجاف التي مررنا بها نتيجة شح الموارد عن تلبية الكثير والكثير من الاحتياجات الهامة، حتى أننا وصلنا الى مرحلة كنا نقدم فيها الأهم على المهم ونغض الطرف على الأقل أهمية فإنه لا عذر لنا اليوم أمام تحديات المستقبل.

ولعل في هذا عبرة لنا لكي نعجل وتيرة الإنجاز ولا نستعجل مسيرة التنمية حتى لا نقع في الاشكاليات التي واجهت الخطط الخمس الأولية.

وأخيراً وقد منحنا أنفسنا فسحة زمنية للاستمتاع بيوم الوطن.. فيحق لنا في هذا اليوم أن نحلم ونحلم ونحلم.. ونتطلع بثقة إلى أن ترتقي أحلامنا مرحلة التحقق، ونعانق فجراً جديداً تتوالى فيه الانجازات والإصلاحات كما وعدنا بذلك خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله في التعليم والصحة والطرق والعمل والبناء والنماء واستثمار الموارد البشرية بجنسيها.. فهل سنعمل جميعاً على تحقيق ذلك.. ليتسنى اطلاق ما بعدها وما بعدها من الوعود فقائمة الانتظار تكتظ بالكثير من التطلعات والآمال.